

الموجهات التشريعية للسلوك الإنساني اتجاه البيئة: ثمة جملة من الموجهات التشريعية التي تعتبر بمثابة مرجعيات يُستمد منها السلوك الإنساني في التعامل مع البيئة يمكن أبراز أهمها في السطور التالية: ١: النصوص التشريعية: هنالك جملة من النصوص التشريعية تعدّ موجهاً أساسياً للسلوك البشري نحو البيئة من خلال استثمار طاقات النص التشريعي إلى أقصى مداه وهذه النصوص التشريعية يمكن ردها إلى عدة مجموعات منها: آيات الإستخلاف (١) وردت في القرآن الكريم عدّة آيات تتحدث عن استخلاف الله للإنسان في هذا الكون من مثل قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (١) وقوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣) وقوله عز وجل: (هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ) فهذه الآيات وغيرها تدل على أن الله عز وجل استخلف الإنسان في هذا الكون ليعمره وفق إرادته وشرعه، الإستخلاف ألا يأتي الإنسان المستخلف من السلوكيات ما يفسد المستخلف فيه وهو الكون وخصوصاً الأرض التي يعيش الإنسان على ظهرها لأن ذلك من مقتضيات الخلافة وأن أي سلوك بشري يعتبر تعدياً على البيئة وافساداً لها يناقض هذا الإستخلاف. ٢. مجموعة النصوص التشريعية التي تنهى عن الفساد في الأرض من مثل قوله سبحانه وتعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْإِنْسَانِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ) (١) وقوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (١) إلى غير ذلك من الآيات الناهية عن الفساد والإفساد في الأرض، هذه الآيات إفساد البيئة بتلويثها والإستنزاف الجائر المصادر الثروة فيها والإخلال بتوازنها، ذلك يعتبر من الفساد والإفساد الذي نهى عنه الله عز وجل. ٣. مجموعة النصوص التشريعية التي يمتن الله فيها على عباده بتسخير ما في الكون عموماً وما في الأرض خصوصاً لخدمة الإنسان ونفعه من مثل قوله تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (١)، وتعالى: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَمَّا طَرَبًا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَّوْجًا وَتَرْبَأُ لَكُمْ مَوَاقِرُ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٢) وقال عز وجل: (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٣)، موجهاً للسلوك البشري نحو البيئة من خلال ما يفهم منها من ضرورة عدم افساد منة الله سبحانه وتعالى بالتعدي على البيئة وإفسادها وأن الانتفاع الأمثل والدائم بهذا التسخير يستلزم بقاء الإنتفاع بالكون عموماً وبالأرض خصوصاً واستمراريته البقاء وتلك الإستمرارية لا تتأتى في ظل سلوكيات خاطئة وغير مسؤولة تضر بالبيئة وتعصف باستمرارية الإنتفاع بها. مجموعة من الآيات القرآنية الداعية إلى التفكير في خلق السماوات والأرض (١) من مثل قوله تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (١) وقوله عز وجل: (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّمُؤْمِقِينَ) (١) وقوله سبحانه وتعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣) فهذه الآيات وغيرها فيها لفت إلى أهمية الكون عموماً والأرض خصوصاً ولا تتضمن الآيات المذكورة الدعوة إلى التفكير والاعتبار فحسب بل إنها تتضمن دعوة بطريق غير مباشر إلى عدم افساد صنع الله وخلقه بالسلوكيات الخاطئة وغير المسؤولة اتجاه البيئة ومكوناتها. ب. المصالح المرسلّة: وهي المصالح التي لم يتعرض لها الشرع بالإعتبار أو الإبطال (١) حيث تعتبر المصالح موجهاً أساسياً للسلوك الإنساني اتجاه البيئة؛ جلب المصالح وتعظيمها ودرء المفاسد وتقليلها (٢) فلا شك أن المحافظة على البيئة صالحة ونقية من أعظم المصالح العاجلة والآجلة كي تتمكن الأجيال الحاضرة والقادمة من الإنتفاع بالبيئة ومكوناتها بالشكل الذي اراده الله سبحانه وتعالى وأن إفساد البيئة بشتى أنواع الملوثات لهي من أعظم المفاسد التي سعت الشريعة إلى درئها وتقليلها. ج. سد الذرائع: يعتبر سد الذرائع من الأصول التشريعية المهمة التي يمكن أن يستمد منها السلوك الأمثل اتجاه البيئة ومكوناتها، ويتلخص مفهوم سد الذرائع بتحريم أي فعل أو قول أو تصرف يؤدي إلى ما هو محرم ولو كان هذا القول أو التصرف أو الفعل مباحاً في ذاته (٣)، على ذلك فإن أي نشاط إنساني يضر بالبيئة ويخل بالتوازن الذي جعله الله بين عناصرها ومكوناتها يعتبر محرماً لإفضاءه إلى ما هو محرم وهو الإفساد للبيئة ومكوناتها ولو كان هذا النشاط في أصله مباحاً إذ يصبح - في هذه الحالة - محرماً لغيره وبذلك يصبح مبدأ سد الذرائع مصدراً ثراوغياً في الحكم على التصرفات والأنشطة البشرية اتجاه البيئة. د. مقاصد الشريعة المقاصد الشريعة دور كبير في توجيه النشاط الإنساني ولا شك أن المحافظة على البيئة تعتبر من المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية؛ التي لا بد منها في قيام مصالح الدارين، "حفظ الدين والنفس والعقل والنسل" والمال والتي ثبتت بالاستقراء والتنقيص في كل أمة وملة، وفي كل زمان ومكان (١) وفقد هذه

الكلية الضرورية يؤدي إلى عدم استقامة الحياة وإلى شيوع الفوضى والاضطراب (٢) ومعلوم أن مفسدات البيئة تتسبب في ظواهر كونية مضطربة كظاهرة التسخين الحراري وظاهرة تهتك طبقة الأوزون والظواهر المناخية المرتبطة بالعواصف بالإضافة إلى حيث تدخل في نتيجة تسرب الأشعة الضارة ونتيجة انتشار الأدخنة والأبخرة السامة التي تقذفها مداخل المصانع والطائرات والمركبات بأنواعها مما يتسبب في أمراض مختلفة كالسرطان بأنواعه كما تدخل في حفظ المال ثروات الناس ومصادر دخلهم السياسة الشرعية: وتتمثل في القيام على شأن الرعية من قبل ولا تهم بما يصلحهم من الأمر والنهي والإرشاد والتهديب، وما يحتاج إليه ذلك من وضع تنظيمات أو ترتيبات إدارية تؤدي ودفع المضار والشور أو الأمور المنافية. (٨) ويمكن للسياسة الشرعية أن تلعب دورا كبيرا ومهما في المحافظة على البيئة من خلال تلك القوانين عقوبات وغرامات مالية اتجاه أي سلوك مضر بالبيئة أو بعض عناصرها، البيئة وحمايتها. (٢)، وو العرف هو كل قول وفعل وترك اعتاد عليه الناس (٨)، سن الأنظمة والتعليمات التي تصبح بعد سنها والعمل بها عرفا صالحا وصحيحا يستند إليه خلال في حماية البيئة. على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان (٣) ولا يقتصر الأمر بالتعاون على المسلمين بالتعاون الدولي، حيث يشرع هذا النوع من التعاون في المصالح المشتركة بين الدول سواء أكانت تلك الدول مسلمة أم غير مسلمة، ولا شك أن المحافظة على البيئة وحمايتها يعدان من أعظم المصالح المشتركة بين الدول والشعوب قاطبة؛ لأن مصلحة المحافظة على البيئة وحمايتها ليست قاصرة على دولة أو شعب بعينه وإنما هي مصلحة مشتركة عامة لجميع الدول والشعوب.